هنالك ابتلي المؤمنون
الكاتب : رقية القضاة
التاريخ : 6 يناير 2013 م
المشاهدات : 8538

اليهود هم اليهود،لا يتغيّرون ولا يتبدّل خبثهم ومكرهم أبدا، يعيشون على الفتنة ويقتاتون الأذى، ويزرعون البغضاء بين الأمم.

إنّها سيرتهم الذليلة، وسماتهم البغيضة، وهاهم كبراءهم يغذون السير إلى مكة المكرّمة، ليحرّضوا كفّارها على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته، وقد غرّتهم نتائج غزوة أحد، وغرّهم الشيطان بأمانيّه الخادعة،ويصيخ حمقى قريش ورعناءها السمع لأولئك الخبثاء.

وتحاك بليل مؤامرة ضد الدولة المسلمة، القائمة في المدينة المنورة ، تدعو النّاس إلى ربهم ، ولا تألوا جهدا لهدايتهم إلى الحق، وتقدّم خيرة أبناءها برضى وتسليم ، فداء لكلمات الله الهادية.
وهي تأمل من تلك التضحيات أن تكون منائر وبصائر تقود الضّالين إلى مرابع النّور، وتفتح عيونا طالما عميت عن الحق ، فتؤوب إلى ربها وتتألّب الأحزاب وتجتمع في خطوة جريئة ومدبّرة ومدروسة بعناية وتخطيط محكم ، تتجه الجيوش إلى طيبة المنيبة إلى ربها، ويسير حيي بن أخطب إلى بني قريظة مؤلبا إيّاهم على خيانة عهد محمد ، وهو يغري سيّد قريظة كعب بن الأشرف بذلك ويقول :{قد جئتكم بعزّ الدهر ،قريش على سادتها ، وغطفان على قادتها وأنتم أهل الشوكة والسلاح ، فهلمّ حتى نناجز محمدا ونفرغ منه، ويجيبه كعب قائلا :
بل والله جئتني بذلّ الدهر، جئتني بسحاب قد أراق ماءه، فهو يرعد ويبرق و يظلّ شيطان بني النّضير الحاقد يغريه بنقض العهد، ويمنّيه الأماني حتى استجاب وأضمر الخيانة وتحزّب مع الأحزاب وأحاط بها مع الأحزاب وفي المدينة المنوّرة قلوب تصبو إلى الشهادة ، وترتقب النّصر ، وتحنّ إلى الجنان شوقا ، وتستهام بحبّ الله، ولا يقعدها عن الجهاد خوف ولا قلة ولا كثرة عدو،ويبلغ خبر خيانة قريظة سمع الحبيب المصطفى ، فيكبّر قائلا : أبشروا يا معشر المسلمين.

إنّها الثقة المطلقة بالله القادر العليم ، الذي ينصر الصّادقين ويذلّ المفسدين، والذي اقتضت حكمته سبحانه ان يجعل النصر مقرونا بالصبر ، والعسر متبوعا باليسر ، والابتلاءات سنته في المؤمنين ، كما أنّ الهلاك والذلّة والغضب سنّته جل وعلا في الكافرين .
وهكذا ترتج المدينة المنورة بالتكبير ، وتتناقل البشرى بتصديق ويقين، حتى وهي ترى الأحزاب تتقاطر لتحيط بمدينة الإسلام ، ولكن ثبات القائد وثقته بربه تسري في القلوب والأرواح الطيبة المؤمنة ، فتملأها يقينا بنصر الله.

ويشير سلمان الفارسي على رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ بحفر خندق حول المدينة ،وهي خدعة لم تكن العرب تعرفها ، وانطلقت السواعد القوية تضرب الأرض، وتفتت الصخر، وهي تتأسى بنبيّها القدوة ـصلى الله عليه وسلّمـ، وتستعصي عليهم صخرة، فيستدعون الرسول ـصلى الله عليه وسلم ليرى رأيه فيها ،فيأخذ الفأس ويضرب صلى الله عليه وسلّم بعزم ويقول بسم الله ويقع أكثرها فيكبر المصطفى ـصلى الله عليه وسلمـ قائلا :{الله أكبر قصور الرّوم ورب الكعبة،ويضرب ضربة أخرى ويكبّر قائلا :الله اكبر،قصور فارس ورب الكعبة.

ومن بين التكبيرات التي هزّت قلب الدنيا وغيّرت وجه التاريخ ،ونقلت البشرية نقلة ما كانت لتحدث إلا بقوة الله وشرع الله ،وجند الله ،من بين كل المبشّرات، والمعجزات التي ظهرت يوم الخندق، سمع فحيح النّفاق، وطنين التثبيط، ولهاث التشكيك، صوت المنافقين في المدينة وهم يسمعون بشارات النبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ لأصحابه {نحن نخندق على أنفسنا ومحمد يعدنا قصور فارس والرّوم}، تلك هي طبيعة النّفاق في كل مأزق توضع فيه الأمة، وفي كل موطن تحتاج الأمة فيه لكل قواها ،التثبيط والتشكيك والتكذيب، في كل زمان ومكان ويشارك النبي أصحابه في العمل والحفر.

وينظر إليهم جياعا حفاة وقد أصابهم البرد والنصب ،فيدعو لهم ولايملك إلا الدعاء {اللهم إن العيش عيش الآخرة ،فاغفر للأنصار والمهاجرة }وهم يجيبون بقلوب مؤمنة محبة وحناجر تهتف للحق بحب وللرسول بحب وللجنة باشتياق وحب نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما حيينا أبدا فيرون يومها من المعجزات والبركات والبشارات ، مما أفاض الله به على نبيه ،كما يرون يومها الابتلاء، والخوف ، وتكالب الأعداء ونقض العهود، والمساومة على الكرامة ، إذ بلغ الأمر بغطفان أن تساوم النبيّ ـصلى الله عليه وسلمـ لتشاطر المسلمين نصف تمر المدينة وإلّا ملأها عليهم خيلا ورجالا.

ويجيب النبي المشفق على أصحابه وقد زلزلوا زلزالا شديدا وبلغت القلوب الحناجر :حتى استأمر السّعود،وهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فيستشيرهما فيجيبان قائلين: والله ما أعطينا الدنية من أنفسنا في الجاهلية ، فكيف وقد جاء الله بالإسلام؟

وأرسل الله نعيم بن مسعود مسلما ، وقومه لا يعلمون بإسلامه ، ويرغب أن يكلفه النبي ـصلى الله عليه وسلّمـ بمهمة تعينهم فيما هم فيه.

فيقول له النبي : خذّل عنّا ما استطعت فإن الحرب خدعة، فيفعل ويلقي الفرقة والفتنة في صفوف الأحزاب ويقف رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ خاشعا بين يدي ربه وهو يدعوه دعاء المضطرّ الموقن بالإجابة {اللهمّ منزل الكتاب سريع الحساب إهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم}

وما كان الله ليخذل نبيه والمؤمنين، ولكنّها سنة الله في المجاهدين الوارثين لجنّة الله أن يقدّموا الثمن العزيز للسلعة الغالية وتبلغ القلوب الحناجر ويبتلى المؤمنون حتى يزلزلوا.

ويتساءلون متى نصر الله؟

يستعجلون النّصر ولا يشكّكون بصدق الوعد، ويتخوّفون على نبيّهم ومدينتهم ودينهم، وليس على أرواحهم.

ويسجّل التاريخ الدعوي بطولات للرجال والنساء على حد سواء ، وعائشة أم المؤمنين تحدّث عن نفسها وهي تخرج تتبّع أخبار المعركة وعمر يغضب لذلك ويقول : لعمري والله إنك لجريئة ، وما يؤمّنك أن يكون بلاء أو تحوّز ، يخشى على أم المؤمنين زوج رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ وابنة الصدّيق ، من ويلات المعركة.

ويجيبه طلحة بن عبيد الله : لقد أكثرت ياعمر وأين التحوز أو الفرار اليوم إلا إلى الله عز وجل؟

ويرسل الله جنوده المبثوثة في كل آفاق السماء والأرض ، ملائكة وريحا وبردا ورعبا ، تزلزل الأحزاب وتشتّت شملهم ، وتردّهم خاسرين، وتستردّ يثرب روعها ، وتبرق في أروقتها رايات التوحيد الخالدة، وتخزى شرذمة المنافقين، وتنقلب قريش بشرّ منقلب ، وقد ردّ الله الأحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال، ويقف النبي في أصحابه مبشّرا {الآن

نغزوهم ولا يغزوننا،نحن نسير إليهم}

وانتشت المدينة بأغاريد النصر وعزّت القلوب الرّاجية بالظفر، وتسامقت الهامات الموحّدة بالتكبير والتحميد [الحمد لله الذي صدق وعده وأعزّ جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده

المصادر: